تتغير الأخلاق في ساعة الشدة
بقلم: مودة قنديل

في صباح يوم الخميس، كنت نائماً نوماً عميقاً، استيقظت فجأةعلى صراخ زوجتي وهيتقول: أريد أن أسافر. فركت عيني وارتسم الاندهاش على وجهي، فقلتلها: من أين ياحسرتي؟ ردت علي وهيتتنهد لا أعرف، تتحسر على راحتك، أريد أن أسافر. لم يكن لدي خيار سوى أنني أفعل ما تريده. فخرجت مسرعاً من البيت لحجز تذاكر السفر.

بعد مرور أسبوع، أخذنا حقائبنا وركبنا السيارة متجهين إلى المطار، كادت زوجتي تنفجر حماساً، صعدنا الطائرة وبدأنا نبحث عن مقاعدنا وجلسنا، كانت زوجتي مندهشة فكانت تناظر أطراف الطائرة وتشاهد الركاب وهم يضعون أمتعتهم، سألتها: سعيدة يا حبيبتي؟ فكان جوابها: الي أين يا حسرتي، ليست إلا ماليزيا، الناس تسافر إلى بلجيكا إلى أوروبا إلى استراليا. أطبقت بيدي على فمها وأنا أحوقل وأتمتم بعباراتي غير المفهومة.

بدأت زوجتي بالنظر كالبلهاء في السماء وهي تلتقط الصور، كانت تصور كل شيء، السحب، كراسي الطائرة، حتى الوجبة التي تناولتها، سألتني بلهفة: كم مضى من الوقت؟ فقلتلها: ثلاث ساعات أو أكثر، وفجأة انتبهنا على صوت قائد الطائرة، يطلب منا أن نربط أحزمة الأمان فهناك مطبات هوائية، صرخت زوجتي في وجهي، تقول: هل نحن في الشارع من أين جاءت هذه المطبات؟ قلت لها: اذكري الله لقد فضحتنا.

بدأت الطائرة تقفز كضفدع فزعة، ثم ارتجت رجة قوية، بدأنا نسمع صراخا، ورأيت المضيفات يتراكضن لتهدئة الأطفال الذين شرعوا في البكاء. ساد المكان توتر شديداً. عاد صوت قائد الطائرة يدعونا للتمسك جيداً مطب هوائي جديد. بدأت أردد الشهادتين وبقراءة آية الكرسي، بدأ الجفاف يزحف إلى حلق زوجتي، وهي تتمتم. كانت تنظر إلي بعينين خائفتين ونادمتين أشد الندم.

عندما أنظر إلى زوجتي وهي خائفة كنت أفكر بأنها قد تابت وندمت على ما فعلت للناس من ظلم وما فعلت بي، فبدأت أرقيها بآيات الله وأهدئ فيها، لا أدري كم مر من الوقت حتى انسلب صوت القائد يبشرنا بتجاوز المطبات الهوائية، عادت الدماء تجري في أوصالنا من جديد، السيدة التي كانت خلف زوجتي اقسمت ألا تركب طائرة أبدا، وزوجتي اغمضت عيناها فكنت أرى الخوف والقلق يسري في أوصالها.

وصلنا ولله الحمد إلى ماليزيا، بدأت زوجتي بالتصوير وسبقتني في النزول من الطائرة، ظلت تدور وتمشي وهي متعجبة وكاميرتها لا تفارق يدها فهي تصور كل شيء تراه، وفجأة لاحظت أنها تبحث عن شيء ما، سألتها: عن ماذا تبحثين؟ لم تجب على سؤالي، توقفت عند كبينة الهاتف العمومي وبدأت بإدارة الأرقام، واستمررت في النظر إليها حتى أجيب الهاتف، قالت بصوت

www.alhanahj.com

عال يسمعهالجميع: " علياء، صباح الخير، هل أنت نائمة؟ سامحيني، لمانتبه للفرق، ما أجمل المدينة، ليتك كنت معي، كان الله في عونكم وأنتمتتلظون في الحر .....و....". فضربت كفأ بكف وحوقت كعادتي.

www.almanahj.com